

التبيان في تفسير القرآن

(197) إلى الضمير، وقياسه إذا وقف عليه أن يقول اقتده فيكسر (هاء) الضمير، كما تقول اشتريه في الوقف. وفي الوصل اشتريه لنا يا هذا. واستدل قوم بقوله (فبهدهم اقتده) على أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان متعبدا بشريعة من قبله من الأنبياء وهذا لادلالة فيه، لأن قوله (فبهدهم اقتده) معناه فبأدلتهم اقتده. والدلالة ما أوجبت العلم ويجب الاقتداء بها، لكونها موجبة للعلم لا غير ولذلك قال تعالى (ذلك هدى الله لعلهم يرجعون) فلهذا لا بد من الهدى إلى نفسه، فعلم بذلك أنه أراد ما قلناه. وقوله (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) يدل على أن الهدى في قوله (واجتبيناهم وهديناهم) هداية الثواب على الأعمال الصالحة، لأن الثواب على الأعمال هو الذي ينحبط تارة ويثبت أخرى دون الهداية التي هي الأدلة الحاصلة للمؤمن والكافر. وقوله (وكلا فضلنا على العالمين) يعني على عالمي زمانهم الذين ليسوا أنبياء وإنما دخلت (من) في قوله "من آباءهم وذرياتهم" للتبعيض كأنه قال: وبعض آباءهم وبعض ذرياتهم وبعض أخوانهم هديناهم ولولم تدخل (من) لاقتضى أنه هدى جميعهم الهداية التي هي الثواب، والأمر بخلافه. وقوله "اجتبيناهم" معناه اخترناهم. وقوله (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لا يدل على صحة ثواب طاعاتهم التي أشركوا في توجيهها إلى غير الله لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب، فأما ما تقدم فليس في الآية ما يقتضي بطلانه غير أننا قد عملنا أنه إذا أشرك لاثواب معه أصلا، لاجتماع الأمة على أن المشرك لا يستحق الثواب، فلو كان معه ثواب وقد ثبت أن الاحباط باطل، لكان يؤدي إلى أن معه ثوابا وعقابا، لانا قد بينا بطلان القول بالتحايط في غير موضع وذلك خلاف الاجماع.